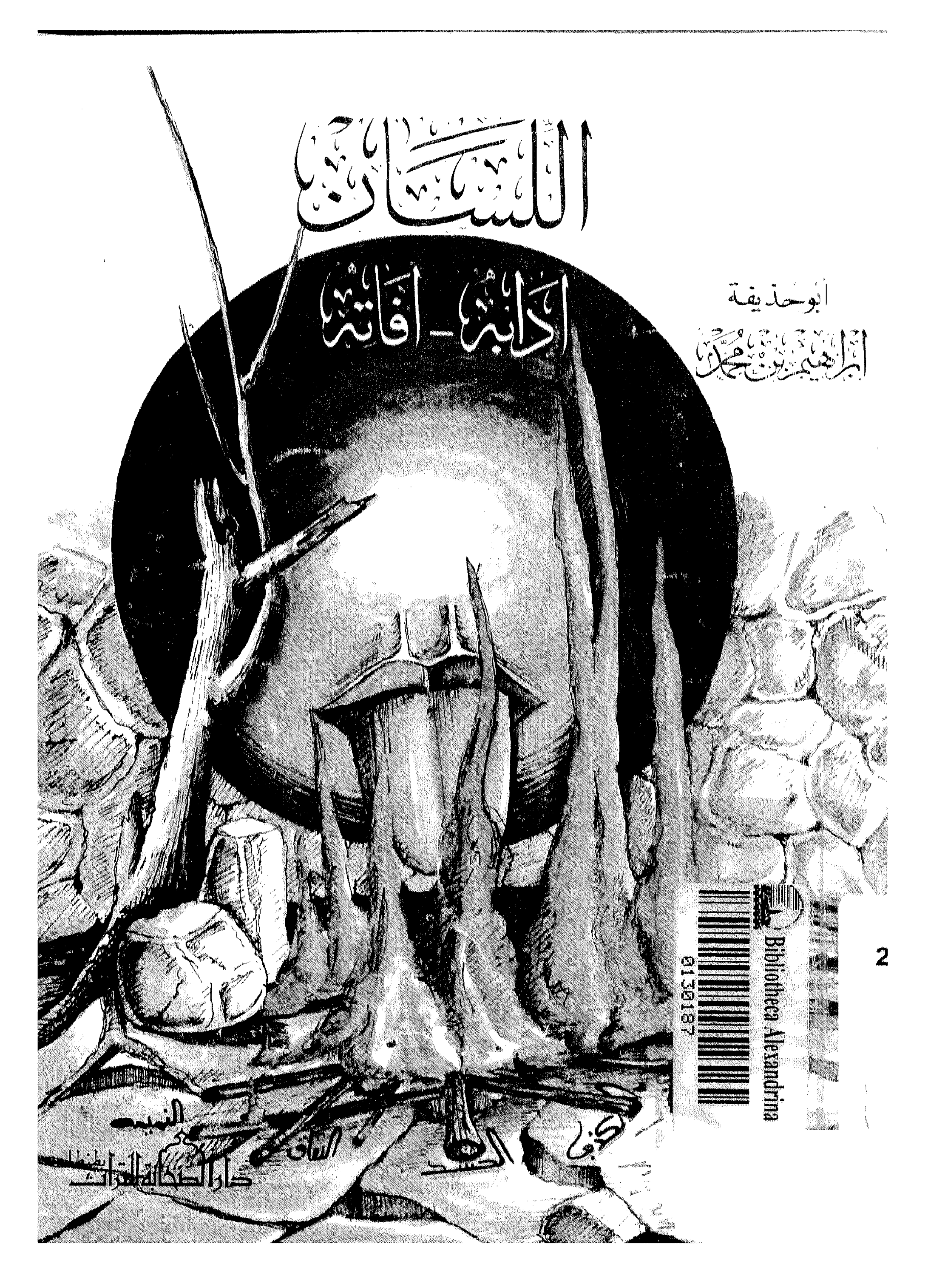
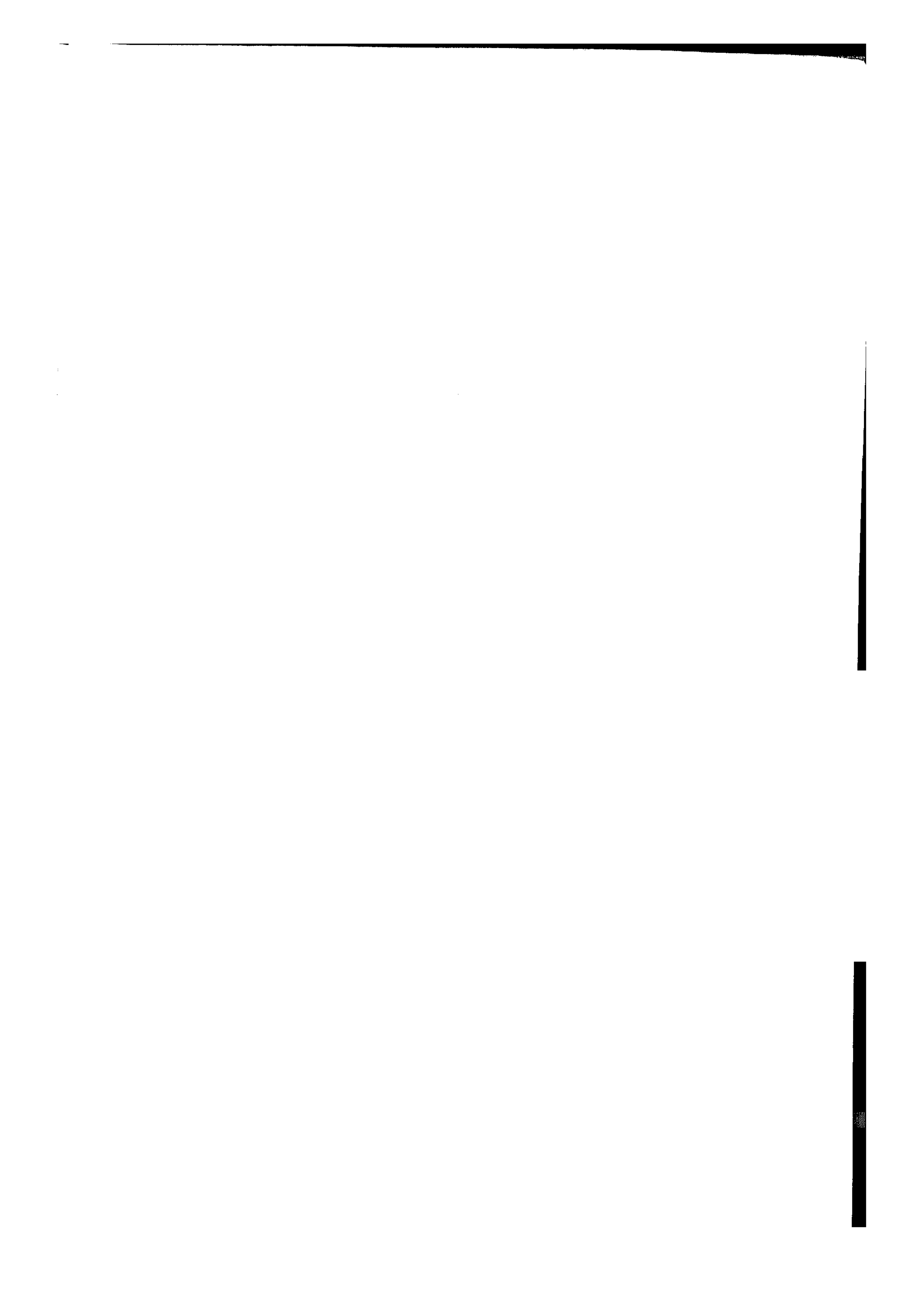

اللسان
آدابه - آفاته
أبو حذيفة
إبراهيم بن محمد
دار الصحابة للتراث بطنطا
Bibliotheca Alexandrina
0130187



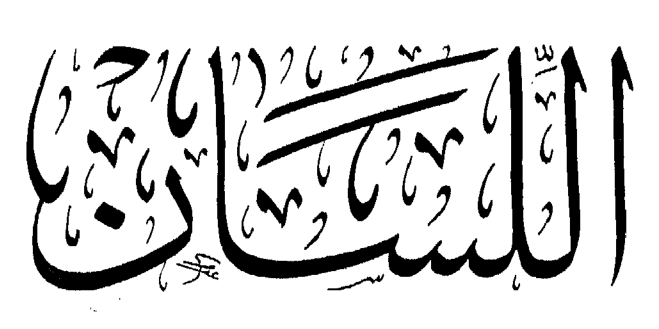
اللسان

آدابه - آفاته

كتـــاب قد حوى دررًا بعين الحسن ملحوظـــة
لهــذا قلت تنبيهًا

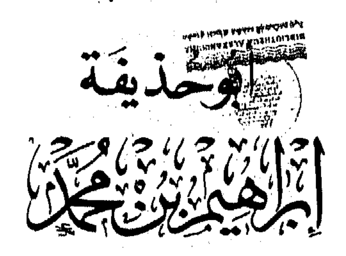
الطبعة الثانية
١٤١٠ هـــ ١٩٩٠ م

لدار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر والتحقيق والتوزيع
ت : ٣٣١٥٨٧ – ص . ب : ٤٧٧
شارع المديرية – أمام محطة بنزين التعاون

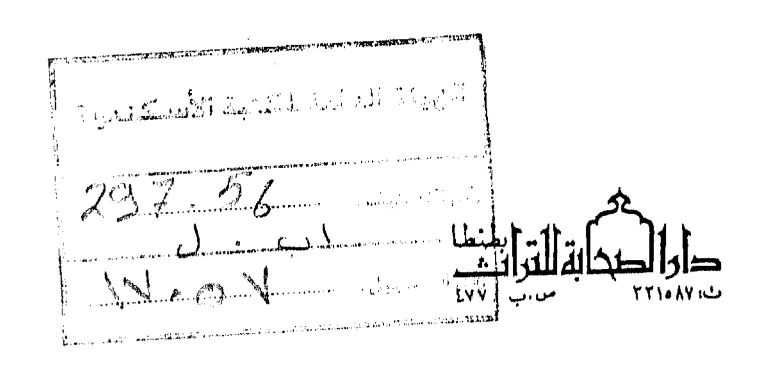


اللسان

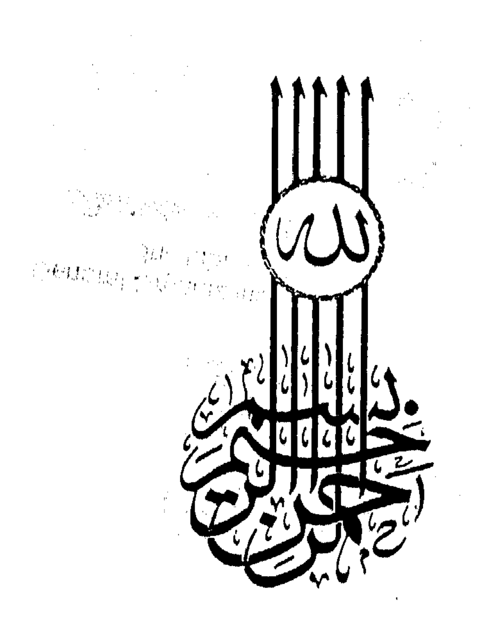
آدابه - آفاته



أبو حذيفة
إبراهيم بن محمد



دار الصحابة للتراث بطنطا
ت ٢٢١٥٨٧ ص.ب ٤٧٧



بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾

وقال صلى الله عليه وسلم

« وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَو قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ ألسنتهم »

مقدمة :[1]

الحمد لله الذى خلق فسوّى وقدر فهدى فمن جملة خلقه سبحانه اللسان : فهو المترجم لما حواه القلب ، واللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه العجيبة فمع صغر حجمه تعظم طاعته وجرمه إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلّا بشهادة اللّسان ففى حديث معاذ رضى الله عنه قال ﷺ :

« وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِى النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِم أَو قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِم إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِم »[2] .

فإن اللسان يزرع بقوله الحسنات والسيئات ثم هو يحصد يوم القيامة ما زرعه فى الدنيا إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر .

فما أحرى بالمسلم أن يصون لسانه عما فيه هلكته وينأى بنفسه عن موارد حتفه حتى وإن لزمه الأمر إلى حبسه وطول سجنه .

---

(١) كان الاعتماد على طبع هذه الرسالة على ١ – كتاب آفات اللسان لإبراهيم المشوخى . ط الأردن ٢ – كتاب تهذيب موعظة المؤمنين للقاسمى ٣ – كتاب الصمت لابن أبى الدنيا تحقيق د . أحمد عاشور ٤ – كتاب جوامع الآداب للإمام القاسمى ٥ – كتاب البحر الرائق فى الزهد والرقائق للأخ أحمد فريد ٦ – كتاب بهجة المجالس وأنس الجالس للإمام ابن عبد البر القرطبى .

(٢) أخرجه أحمد [٢٣١/٥] والترمذى وقال حديث حسن صحيح وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى ومسلم .

فضل الصمت وحفظ اللسان :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« **مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ** »(٣) .

وعن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« **الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ والْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ** »(٤) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

« **مَنْ كَفَّ لِسَانَهُ سَتَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَوْرَتَه ، وَمَنْ مَلِكَ غَضَبَه وَقَاهُ اللهُ عزَّ وجَلَّ عَذَابَهُ ، وَمَنْ اعْتَذَرَ إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ قَبِلَ اللهُ عُذْرَهُ** »(٥) .

وعن أم حبيبة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :

« **كَلَامُ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لا لَهُ إِلَّا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْىَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَذِكْرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ** »(٦) .

وقال ﷺ :

« **طُوبَى لِمَنْ مَلِكَ لِسَانَهُ وَوسِعَهُ بَيْتُهُ وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ** »(٧) .

وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه ، أنه كان على الصَّفَا يُلبى ويقول :

---

(٣) أخرجه البخارى [١٣/٨ - ٣٩] ومسلم [٥٠/١] .

(٤) أخرجه البخارى [١٢٧/٨] .

(٥) قال الحافظ العراق فى الإحياء [١١٠/٣] أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت بسند حسن قلت انظره فى الصمت ص ٤٢ طبعة الاعتصام .

(٦) رواه ابن ماجة [٣٩٧٤] ١٣١٥/٢ .

(٧) ذكره الهيثمى عن ثوبان وقال : رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير وحسن إسناده [٢٩٩/١٠] .

« يَالِسَانِى قُلْ خَيْرًا تَغْنَمْ ، أَوْ أَنْصِتْ تَسْلَمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمْ » .

قالوا : يا أبا عبد الرحمن هذا شئ تقوله أو شئ سمعته ؟ قال : لا ، بل سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إِنَّ أَكْثَرَ خَطَايَا ابنِ آدَمَ مِن لِسَانِهِ »[٨] .

وقال ابن مسعود أيضا « مَا شَىءٌ أَحَقُّ بِطُولِ سَجْنٍ مِنَ اللِّسَانِ »[٩] .

وأخذ الشاعر هذا المعنى فقال :

وَمَا شَىءٌ إِذَا فَكَّرْتَ فِيهِ ... أَحقُّ بِطُولِ سَجْنٍ مِنْ لِسَانِ

وعن أسود بن أصرم المحاربى رضى الله عنه قال : قلت : أوصنى يا رسول الله ؟ قال : « أَتَمْلِكُ يَدَكَ » ؟! قال : قلت : فما أملك إذا لم أملك يدى ؟! قال : « أَتَمْلِكُ لِسَانَكَ » ؟! قال : فما أملك إذا لم أملك لسانى ؟! قال : فَلاَ تَبْسُطْ يَدَكَ إِلَّا إِلَى خَيْرٍ ، وَلاَ تَقُلْ بِلِسَانِكَ إِلَّا مَعْرُوفًا »[١٠] .

قال الأصمعى : قال أعرابى : السكوتُ صيانةٌ للسان وسترٌ للعىّ .

وقال أيضا : قال أعرابى : الكلمة أسيرة فى وثاق الرجل ، فإذا تكلم بها كان أسيرا فى وثاقها .

وقال أعرابى فى رجل رماه بالعِىّ : رأيت عثرات الناس فى أرجلهم وعثرة فلان بين فكّيْهِ .

وقيل لبكر بن عبد الله المُزَنِىّ : إنك تطيل الصمت ؟ فقال : إن لسانى سبع إن تركته أكلنى .

---

(٨) ذكره الهيثمى فى المجمع [٢٩٩/١٠ ، ٣٠٠] وقال « رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح » وروى بلفظ « واسكت عن شر تسلم » .

(٩) وقال أبو معاوية « أحوج إلى طول سجن من لسانٍ » ذكره الهيثمى فى المجمع [٣٠٣/١٠] وقال « رواه الطبرانى بأسانيد ورجالها ثقات » ورواه أبو نعيم فى الحلية [١٣٤/١] والصمت لابن أبى الدنيا (ص ٤٢) .

(١٠) ذكره الهيثمى فى المجمع [٣٠٠/١٠] وقال « رواه الطبرانى وإسناده حسن » ورواه ابن أبى الدنيا فى الصمت ص ٣٧ .

وأنشد الخُشَنىّ :

لِسَانُ الفَتَى سَبْعٌ عَلَيْهِ مُرَاقِبٌ فَإِنْ لَمْ يَذَعْ مِنْ غَرْبِهِ فَهُوَ آكِلُهْ[1]

وقال الراجز :

القَــوْلُ لاَ تَمْلِكُــهُ إِذَا نَمَــا كَالسَّهْمِ لاَ يَرْجِعُهُ رَامٍ رَمَـا

وأنشد ابن المبارك أخا له كان يصحبه :

واغْتَنِمْ رَكْعَتَيْنِ زُلْفَى إِلَى اللَّـ ـهِ إِذَا كُنْتَ فَارِغًا مُسْتَرِيحًا

وإِذَا مَا هَمَمْتَ بِالمَنْطِقِ البَـا طِـلِ فَاجْعَـلْ مَكَانَهُ تَسْبِيحًـا

إِنَّ بَعْضَ السُّكُوتِ خَيْرٌ مِنَ النُّطْـ ـقِ وَإِنْ كُنْتَ بِالكَلَامِ فَصِيحًا

وكان يقال : العافيةُ عشرةُ أجزاء ، تسعة منها فى الصمت وجزء فى الهرب من الناس .

وقال أبو الدرداء : مِنْ فقهِ الرَّجُلِ قِلَّةُ كلامِه فيما لا يَعْنِيه .

وقال مالك بن دينار : لو كانت الصحف من عندنا ، لأقللنا الكلام .

وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : المحظوظ التقى يلجم لسانه وأخذه الحسن بن هانئ فقال :

إِنَّمَا العَاقِلُ مَـن أَلْـ ـجَـمَ فَـاهُ بِلِجَـامْ

مُتْ بداءِ الصَّمتِ خَيرٌ لَكَ مِـن دَاءِ الكَـلامْ

وحينما سُئل عمر بن عبد العزيز رحمه الله عن قتلة عثمان رضى الله عنه فقال :

« تِلْكَ دِمَاءٌ كَفَّ اللهُ عَنْهَا يَدِى ، فَأنَا أُكْرَهُ أَنْ أغمِسَ فِيهَا لِسَانِى » .

وقال يزيد بن أبى حُبَيْب : المتكلم ينتظر اللعنة ، والصامت ينتظر الرحمة .

ويقال :

شر ما طبع الله عليه المرء : خلق دَنِىّ ، ولسان بَذِىّ .

---

(١) الغرب : الحده والسفه .

فعلى المؤمن أن ينزه لسانه عن هذه الآفات

[١] الكذب

[٢] السخرية والاستهزاء

[٣] الفحش والسب وبذاءة اللسان

[٤] الغيبة

[٥] النميمة

[٦] إفشاء السرّ

[٧] ذو اللسانين وذو الوجهين

[٨] المراء والجدال والمخاصمة

[٩] الحسد

[١٠] الكلام فيما لا يعنى وفضول الكلام

[١١] الخوض فى الباطل

[١٢] اللعن

[١٣] المدح

[١٤] التقعر فى الكلام

[١٥] الدقائق اللفظية

فعلى المؤمن أن ينزه لسانه عن هذه الآفات

-١-

الكذب

الكذب هو الإخبار بالشيء على خلاف ماهو عليه ، سواء أعلم ذلك وتعمد أم لا .

أما العلم والتعمد فإنهما شرطان للإثم وقد ورد أكثر من مائتين وثمانين آية فى كتاب الله كلها تنهى عن الكذب وتضرب لنا الأمثلة على النهاية السيئة للمكذبين والكاذبين . ولقد اقترن الكذب بالنفاق والكفر كما اقترن الصدق بالإيمان والتقوى : قال ﷺ :

« عَلَيْكُم بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى البِرِّ وَالْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الجَنَّةِ وَمَايَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا ، وَإِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ فَإِنَ الكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الفُجُورِ والفُجُورُ يَهْدِى إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ العَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَاللهِ كَذَّابًا »(١١) .

وقال ﷺ محذرًا :

« آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ »(١٢) .

---

(١١) البخارى ٣٠/٨ ، ومسلم ٢٩/٨ وقد ورد بلفظ [آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان] وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ « أربع من كن فيه كان منافقا خالصًا وإن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ، إذا وعد أخلف وإذا حدث كذب ، وإذا خاصم فجر وإذا عاهد غدر] متفق عليه .

(١٢) البخارى ٢٣٦/٣ وزاد مسلم ٥٦/١ [وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم] .

وقد ورد عنه ﷺ فى الحث على الصدق وأجر ودرجة الصادق أحاديث كثيرة منها :

« **التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَدَاءِ**»[١٣] .

وعنه أيضا قال :« **ثَلَاثَةٌ لاَ يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامةِ ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، قَالَ : فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاثَ مَراتٍ فقلت : خَابُوا وَخسِرُوا ، وَمَنْ هُم يَارَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : المسْبِلُ ، وَالمَنَّانُ ، والمُنْفِقُ سِلْعَته بالحَلِفِ الكَاذِب** »[١٤] .

وعن أبى أمامة بن ثعلبة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« **مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَد أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيهِ الجَنَّةَ** ، فقال له رجل : وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله ؟ قال : **وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ** »[١٥] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : **الكَبَائِرُ : الإِشْرَاكُ بِاللهِ ، وَعُقُوقُ الوَالِدَينِ ، واليَمِينُ الغُموس**[١٦] وسميت غموسًا : لأنها تغمس الحالف بها كذبا فى النار .

قال بعض الشعراء :

عود لسانك قول الصدق تحظ به ... إن اللسان لما عودت معتاد

موكل بتقاضى ما سننت لـه ... فى الخير والشر فانظر كيف ترتاد

ومما قيل أيضا :

إِذَا عُرِفَ الكَذَّابُ بِالكَذِبِ لَمْ يَكَدْ ... يُصْدَقُ فِى شَىْءٍ وَإِنْ كَانَ صَادِقًا

---

(١٣) رواه الترمذى وحسّنه .

(١٤) رواه مسلم والأربعة وعند ابن ماجة (المسبل إزاره والمنام عطاؤه) .

(١٥) رواه مسلم [٣٤٢/١] ط الشعب والنسائى وابن ماجة ومالك وكرر الكلام الأخير ومعنى بيمينه أى بيمين كاذبة ، والآراك [عود السواك] .

(١٦) رواه البخارى والترمذى والنسائى .

وَمِنْ آفَةِ الكَذَّابِ نِسْيانُ كَذِبِهِ وَتَلْقَاهُ ذَا حِفْظٍ إِذَا كَانَ حَاذِقًا

وقيل أيضا :

وَمَا شَيءٌ إِذَا فَكَّرْتَ فِيهِ بِأَذْهَبَ لِلْمُرُوءَةِ وَالْجَمَالِ
مِنَ الكَذِبِ الَّذى لا خَيْرَ فِيهِ وَأَبْعَدَ بالبَهَاءِ مِنَ الرِّجَالِ

وعن الحسن رضى الله عنه قال : تُعدُّ من النفاق : اختلاف القول والعمل واختلاف السر والعلانية والمدخل والمخرج وأصل النفاق والذى بنى عليه النفاق الكذب[١٧] .

وعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **مَنْ حَدَّثَ بِحَدِيثٍ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِب فَهُوَ أَحَدُ الكَذَّابِين** »[١٨] .

---

(١٧) الصمت لابن أبى الدنيا ص ٢٤٥ .

(١٨) رواه مسلم فى مقدمته والترمذى [٢٧٩٩] ٤٢٢/٧ ، ٤٢٣٢ وأحمد ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ .

صور من الوفاء بالوعد

قد أثنى الله تعالى على نبيه إسماعيل عليه السلام فى كتابه العزيز فقال ﴿ **إنه كان صادق الوعد** ﴾ .

ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال : « إنه كان خطب إلى ابنتى رجل من قريش وقد كان منى إليه شبه الوعد فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق ، أشهدكم أنى قد زوجته ابنتى »[١٩] .

وعن عبد الله بن أبى الحَمْسَاءِ قال : « بايعت النبى ﷺ ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها فى مكانه ذلك ، فنسيت يومى والغد ، فأتيته فى اليوم الثالث وهو فى مكانه فقال : « **يَا فَتَىً لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَىَّ أَنَا هَاهُنَا مُنْذُ ثَلاثٍ انْتظِرُكَ** »[٢٠] .

وبايعت أى اشتريت ، وبقية : أى شىء من ثمن ذلك البيع وكان انتظاره ﷺ لصدق وعده لا لقبض الثمن[٢١] .

(١٩) ابن أبى الدنيا فى كتابه الصمت ص ٢٣٦ .

(٢٠) رواه أبو داود رقم [٤٩٧٥] ٣٣٩/١٣ ، ٣٤٠ والبيهقى ١٩٨/١٠ وابن أبى الدنيا فى الصمت ص ٢٣٦ .

(٢١) د . محمد أحمد عاشور « الصمت » ص ٢٣٦ .

ما رخص فيه من الكذب

اعلم أن الكذب إنما حرم لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره ، وقد يتعلق به مصلحة فيكون مأذونا فيه وربما كان واجبا كما إذا كان فى الصدق سفك دم امرئ قد اختفى من ظالم فالكذب فى هذه الحالة واجب .

وإذا كان لا يتم مقصود الحرب أو إصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجنى عليه أو الإصلاح بين الزوجين إلا بكذب فالكذب هنا مباح بشرط أن يُقتصر فيه على حد الضرورة لئلَّا يتجاوز ما يُستغنى عنه وفى ذلك قال ثوبان : [**الكذب كله إثم إلا ما نفع به مسلما أو دفع عنه ضررًا**] .

وعن حميد بن عبد الرحمن عن أمه أم كلثوم بنت عقبة أنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **لا يرخص لشىء من الكذب إلَّا فى ثلاث** كان رسول الله ﷺ يقول **لا أعده كذبا : الرجل يصلح بين الناس يقول القول يريد به الصلاح ، والرجل يقول القول فى الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها** »[٢٢] .

فالكذب لا يسمح به إلَّا فى

- الصلح بين الناس — فى الحرب وفى الأسر
- الكذب على الزوجة لجلب رضاها والكذب على الزوج لجلب رضاه .

---

(٢٢) البخارى مختصرًا [٣/٢٤٠] ومسلم [٨/٢٨] وأبو داود وابن السنى فى عمل اليوم والليلة .

فعلى المؤمن أن ينزه لسانه عن هذه الآفات

— ٢ —

السخرية والاستهزاء

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُم ، وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ، وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُم وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[٢٣] .

وللسخرية صور متعددة فمنها :

النظر بعين الاحتقار والاستهانة ، أو بالحركات أو بالكلام بإظهار العيوب والنقائص وربما كان هذا الذى نحتقره وننظر إليه بعين الازدراء هو عند الله ذو مكانة عالية ففى الحديث :

« رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِى طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ لَهُ لَو أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ »[٢٤] .

وقد احتقر إبليس اللعين آدم لكونه خلق من طين وهو من نار واستكبر أن يسجد له فكان جزاؤه الخسار الأبدى .

وأيضا من صوره الهمز بالفعل واللمز بالقول ولذلك توعدهم سبحانه بقوله ﴿ ويل لكل همزة لمزة ﴾[٢٥] .

---

(٢٣) سورة الحجرات الآية : ١١ .

(٢٤) البخارى والنسائى برقم ٤٧٦٠ .

(٢٥) سورة الهمزة آية ١ .

قال الحافظ ابن حجر : إن من فعل إحدى الثلاث « السخرية – النبز – اللمز » استحق اسم الفسوق وهو غاية النقص بعد أن كان كامل الإيمان ومجمل القول أن الله عز وجل قد نهى المؤمنين أن يسخر أحدهم من أخيه لفقرٍ نزل به أو لذنب ارتكبهُ وأن لا يتنابزوا بالألقاب .

قال ﷺ : « **لا يَسُبَّنَّ أَحَدُكُم أَبَاهُ قَالُوا : وَكَيْفَ يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَاهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ : يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ** »[٢٦] .

وقال أيضًا ﷺ : « **لا تَبَاغَضُوا وَلا تَحَاسَدُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا وَلا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثِ لَيَالٍ** »[٢٧] .

وقال : « **لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا ، وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابرُوا ، وَلَا يبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ ، وَلا يَحْقِرُهُ ، التَّقْوَى هَاهُنَا – وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ – بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ** »[٢٨] .

وقال أيضا :

« **بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ احْتِقَارُهُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَحْتِقِرُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لِتَكَبُّرِهِ عَلَيْهِ ، والكِبْرُ مِنْ أَعْظَمِ خِصَالِ الشَّرِّ** »[٢٩] .

فنرى هنا رسول الله ﷺ نهى عن أن يحتقر المسلم أخاه وبيَّن أن الاحتقار إنما هو تكبر على الغير فالمتكبر ينظر إلى نفسه بعين الكمال وإلى غيره بعين الانتقاص فيحتقرهم ويزدريهم وَرُبَّ هذا المُحْتَقَر أفضل عند الله من سواه .

---

(٢٦) الترمذى ٣١٢/٤ وقال حسن صحيح .
(٢٧) البخارى ٢٣/٨ ، والترمذى ٣٢٩/٤ .
(٢٨) أخرجه مسلم ١٦/٨ .
(٢٩) جزء من حديث أخرجه مسلم ١٠/٨ – ١١ وأبو داود ١٦٩/٥ .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٣٠] .

ولذلك قال ﷺ :

« لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ »[٣١] .

وقال : « إِنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُم وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ »[٣٢] .

---

(٣٠) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٣١) جزء من حديث أخرجه الترمذى ٣٦٠/٤ - ٣٦١ وقال حديث حسن صحيح .

(٣٢) مسلم ١١/٨ وابن ماجة ٢ /١٣٨٨ .

فعلى المؤمن أن ينزه لسانه عن هذه الآفات

— ٣ —

الفُحْش والسبّ وبذاءة اللسان

السِّبَابُ : مصدر سَبَّ وهو شتم الإنسان والتكلم فى عِرْضِهِ بما يعيبه ، وهو أيضًا أن يقول فى المسبوب بما فيه وبما ليس فيه ، وقد ورد النهى عن ذلك قال ﷺ « **سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ** »(٣٣) وقال أيضًا ﷺ « **لاَيَرْمِى رَجُلٌ رَجُلًا بِالفُسُوقِ وَلاَ يَرْمِيهِ بِالكُفْرِ ، إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ** »(٣٤) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : « **لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا لَعَّانًا وَلَا سَبَّابًا ، وَكَانَ يَقُولُ عِنْدَ المَعْتَبَةِ مَالَهُ تَرِبَ جَبِينُهُ** »(٣٥) .

وقال ﷺ : « **إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ** » قيل يا رسول الله وَكَيفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ قَالَ : « **يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ** »(٣٦) .

وقال ﷺ عن اللّعانين « **لاَ يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلا شُهَدَاء يَوْمَ القِيَامَةِ** »(٣٧) .

---

(٣٣) البخارى ٨/١٨ ومسلم ١/٥٧ – ٥٨ .
(٣٤) البخارى ٨/١٨ .
(٣٥) البخارى ٨/١٥ .
(٣٦) البخارى ٨/٣ ومسلم ١/٦٤ .
(٣٧) جزء من حديث رواه مسلم ١/٥ .

ووصف ﷺ المسلم وما يجب أن يكون عليه فقال :

« **لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا بِاللَّعَّانِ وَلَا بِالْفَاحِشِ وَلَا بِالْبَذِيءِ** »[٣٨] وصحَّ أنَّ رجلًا لعن الريح عند رسول الله ﷺ فقال : « **لا تَلْعَنِ الرِيحَ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ : مَن لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتْ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ** »[٣٩] .

وقد وصف رسول الله ﷺ ذلك البذيء بأنه المفلس يوم القيامة من الحسنات فقال ﷺ عن المفلس بأنه : « **مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقضِى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِن خطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ** »[٤٠] .

وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ :

« **إِنَّ اللهَ لَا يُحبُ الفَاحِشَ المُتَفَحش وَلَا الصَّيَّاحَ فِي الأَسْوَاقِ** »[٤١] .

وأما الجهر بالسُّوء :

فإنه يبدأ فى أوَّل الأمر اتهامات فردية – سبًّا وقذفا – وينتهى انحلالًا اجتماعيًّا وفوضى أخلاقية تضل فيها تقديرات الناس بعضهم لبعض أفرادًا وجماعات وتنعدم فيها الثقة بين بعض الناس وبعض ، وقد شاعت الاتهامات ولاكتها الألسنة بلا حرج أ . هـ[٤٢] .

---

(٣٨) الترمذى ٣٥٠/٤ ، أحمد ٤٠٥/١ والبخارى فى الأدب المفرد (٣١٢) ٤١٠/١ .

(٣٩) أبو داود ٢١٢/٥ والترمذى ٣٥٠/٤ – ٣٥١ .

(٤٠) مسلم ٨ /١٨ ، والترمذى ٦١٣/٤ .

(٤١) البخارى فى الأدب المفرد ٤٠٩/١ .

(٤٢) الظلال : ٥٧٨/٢ .

فعلى المؤمن أن ينزه لسانه عن هذه الآفات

— ٤ —

الغيبة[٤٣]

قال الحسن رضى الله عنه : ذكر الغير ثلاثة : الغيبة ، والبهتان ، والإفك ، وكل فى كتاب الله عز وجل .

فالغيبة : أن تقول ما فيه .

والبهتان : أن تقول ما ليس فيه .

والإفك : أن تقول ما بلغك عنه .

وقال : إن الغيبة لا تقتصر على اللسان فالتعريض به كالتصريح والفعل فيه كالقول ، والإشارة والإيماء والغمز واللّمز والكتابة والحركة وكل ما يُفهم به المقصود فهو داخل فى الغيبة وهو حرام .

قال ﷺ « **أَتَدْرُونَ مَا الغِيبَةُ** » ؟ **قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ! قَالَ :** « **ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ** » **قِيلَ : أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فى أَخِى مَاأَقُولُ ؟ قَالَ** ﷺ : « **إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ** »[٤٤] .

قال تعالى محذرًا ومشبِّهًا المغتاب بقوله عز وجل ﴿ **أَيُحِبُّ أَحَدُكُم أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيه ميتًا فَكَرِهتُمُوه** ﴾[٤٥] ومحذرًا أيضًا من الكلام فى غير منفعة وبدون

---

(٤٣) بحمد الله وتوفيقه تم طبع كتاب الغيبة للإمام ابن تيمية ومعه رسالة رفع الريبة عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة للإمام الشوكانى بتحقيق محمود إمام ط . مكتبة الصحابة – طنطا .

(٤٤) مسلم ٢١/٨ ، والترمذى ٣٢٩/٤ .

(٤٥) الحجرات : ١٢ .

ذكر الله فقال تعالى ﴿ ... **مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾[٤٦]
وقال : ﴿ **وإنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** ... ﴾[٤٧] .

وقال ﷺ « **إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغتْ يَكْتُبُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ . وَإِنَّ الرَجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخطِ اللهِ عَزَّ وَجَلّ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغتْ يكتبُ اللهُ عَزَّ وَجلَّ بِهَا عَلَيْهِ سَخطَهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ** »[٤٨] .

ومن أشْمَلِ ما قيل عن تنزيه اللسانِ « قال عَوْف : دَخلتُ على ابْنِ سيرينَ فتناولْتُ عنده الحجَّاجَ فقال : إنَّ الله حكمٌ عدلٌ ينتقم للحَجَّاج ممَّن اغْتَابه كم ينتقِمُ من الحجاج لمن ظَلَمَهُ وإنَّك إذا لَقيتَ اللهَ تعالى غدًا كان أصْغَرُ ذَنْبٍ أصَبْتَه أشدَّ عليك مِنْ أعظَم ذَنْبٍ أصَابهُ الحجَّاج »[٤٩] .

ومجمل القول فى الغيبة : أنها من الكبائر وأنَّ فيها العذابَ وأشدَّ النكال ، فقد صحَّ فيها أنَّها أَرْبَى الربا ، وأنها لو مزجت بماءِ البحْرِ أنْتَنَتْهُ وَغَيَّرتْ ريحَه ، وأنَّ أهلها يأكلون الجِيَف فى النّار ، وأنَّ لهم رائحة منتنة فيها ، وأنهم يُعذَّبون فى قبورِهم .

ولذلك حذَّرَ رسولُ الله ﷺ من الغِيبةِ كى يَبْقَى لسانُ المسلم مُنَزَّهًا طاهرًا من آثامِ الغيبةِ فقال« **كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وعِرْضُهُ ومَالُهُ** »[٥٠] .

---

(٤٦) سورة ق : ١٨ .
(٤٧) سورة الانفطار : ١٠ .
(٤٨) البخارى مع اختلاف فى اللفظ ١٢٥/٨ ، والترمذى ٥٥٩/٤ وأحمد ٤٦٩/٣ .
(٤٩) إحياء علوم الدين ١٥٣/٣ .
(٥٠) رواه مسلم مطوّلا ١٠/٨ ، ١١ - وأبو داود(٤٨٦١) ٢٢٦/١٣ - والترمذى رقم (١٩٩٢) ٥٤/٦ ، ٥٥ .

والعِرْض بكسر العين المهملة وسكون الراء . موضع المدح والذم فى الإنسان وأعظم الغيبة : أن يُقْصدَ بها ذمُّ الغَيْر ومَدْحُ النَّفْس كأنَّ تقولَ الحمدُ لله الذى لم يبتلنا بما أُبتلى به فلانٌ أو نعوذ بالله من قِلَّةِ الحياء .

واعلم أنَّ المستمعَ للغيبةِ شريكٌ فيها ولَا يَتخلَّص مِنْ إثمها إلا أَنْ يُنْكِرَ بِلِسانِهِ ، أو بقلْبِه وذلك أَضعَفُ الإيمان .

عن أبى الدَّرْداءِ رَضى الله عنه عن النبىّ ﷺ قَالَ : « مَنْ رَدَّ عن عِرْضِ أخِيه رَدَّ اللهُ عَن وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ القِيامَةِ »[٥١] .

وروى عن الحسنِ أنّ رجلًا قال له إن فلانًا قد اغْتَابَك فَبَعثَ إليه رطبًا على طَبَقٍ وقال : قد بَلَغَنِى أنَّك أَهْدَيت إلَّى من حَسَناتِك فأردتُّ أنْ أُكَافِئَكَ عَلَيْهاَ فاعْذُرنِى فإنى لا أَقْدِرُ أن أُكَافِئَكَ على التَّمامِ .

ينبغى للعبد أن يتدبر فى نفسه وعيوبها . إذا عرضت له الغيبة . ويشتغل بإصلاحها ويستحى أن يَعِيبَ وهو مُعيبٌ . كما قال بعضهم :

فَإنْ عِبْتَ قَوْمًا بالَّذِى فِيكَ مِثْلهُ ... فَكَيْفَ يَعِيبُ النَّاسَ مَنْ هُو أَعْوَرُ
وإن عِبْتَ قَوْمًا بِالَّذِى لَيْسَ فِيهُمُ ... فَذَلِكَ عِنْدَ اللهِ والنَّاسِ أَكْبَرُ

وقال آخر :

إذَا رُمْتَ أَنْ تَحْيَا سَليمًا مِنَ الأَذَى ... ودِينُكَ مَوْفُورٌ وعِرضُكَ صَيِّنٌ
فلا يَنْطِقْ مِنْكَ اللِّسَانُ بِسَوْءَةٍ ... فَكُلُّكَ سَوْءَاتٌ ولِلنَّاسِ أَلْسُنُ
وَعْيناكَ إنْ أَبْدَتْ إِلَيْكَ مَعَايِبًا ... فقُلْ يَاعَيْنُ لِلنَّاسِ أَعْيُنُ

« بيان العلاج الذى به يمنع اللسان عن الغيبة »

اعلم أن مساوئ الأخلاق كُلَّها إنما تعالج بمعجون العلم والعمل . وعلاج كف اللسان عن الغيبة إجمالًا أن يعلم أنه يتعرض لسخط الله تعالى إذا اغتاب

(٥١) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

لارتكابه ما نهى الله عنه ، وينفعه أيضا أن يتدبر فى نفسه فإن وجد فيها عيبًا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله ﷺ « **طُوبَى لِمَن شَغَلَهُ عَيبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ** » ومهما وجد عيبًا فينبغى أن يستحى من أن يترك ذم نفسه ويذم غيره ، وإن كان أمرًا خَلْقِيًّا فالذم له ذم للخالق فإن ذم صنعةً فقد ذم صانعها وإذا لم يجد العبد عيبًا فى نفسه فليشكرِ الله تعالى ولا يلوثنّ نفسه بأعظم العيوب ، وينفعه أيضًا أن يعلم أن تألم غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له ، فإذا كان لا يرضى لنفسه أن يُغتاب فينبغى أن لا يرضى لغيره مالا يرضاه لنفسه .

وبالجملة : فمن قوى إيمانه صان عن الغيبة لسانه .

فعلى المؤمن أن ينزه لسانه عن هذه الآفات

— ٥ —

النميمة

النّمام : هو ناقِل الحديثِ مِنْ قَومٍ إلى قَوْمٍ على جِهَةِ الإفْسَادِ والشّرّ سواءٌ كان بعلمه أم بِغَيْرِ عِلمهِ .

أما الغيبة ذِكْره فى غَيْبته بما لا يُرْضِيه .

قال تعالى فى صفةِ النَّمام ﴿ **ولا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ** ﴾[٥٢] فهو كثيرُ الحَلِفِ لِعِلمِه بكذبه وكذلك فهو مَهينٌ : لا يَحْترِمُ نَفْسَه عكس العزة ، همّاز : يعيبُ الناس بالقولِ والإشارة .

وهو مشاء بنميم : يَمشى بَيْنَ الناس بما يُفْسِدُ قلوبَهُمْ ويقطع صلاتهم ومودتهم .

ولقد كان ﷺ ينهى أن يُنْقَل إليه أىُّ حديث فقال : « **لا يُبَلِّغُنِى أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِى شَيْئًا فإنى أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُم وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ** »[٥٣] .

وأيضا نهى عن النميمة وذَمَّ فَاعِلَها فقال : « **لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ** »[٥٤] .

وقال على اثنين يعذبان فى القبر« **إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِى كبيرٍ أَمَا**

---

(٥٢) سورة القلم الآية : ١٠ — ١٢ .

(٥٣) أبو داود ١٨٣/٥ ، والترمذى ٧١٠/٥ .

(٥٤) رواه مسلم ٧٠/١ ، ٧١ ، وأحمد ٣٩٦/٥ .

أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لا يَسْتَنْزِهُ مِنْ بَوْلِهِ »[٥٥] .

وقال الحسن رضى الله عنه : مَنْ نَمَّ إِلَيْكَ نَمَّ عَلَيْكَ .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : أَلَا أُنَبِّئُكُمْ ما العضة هى النميمة القالةُ بينَ الناس .[٥٦]

وعن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **لاَ يَدخُلُ الجَنَّةَ فَتَّانٌ** »[٥٧] قال الأعمش : الفتّان هو النمام وحقيقة النميمة : إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه ومن هتك حرمة أخيه هتك الله حرمته . كما قال الشافعى :

يَا هَاتِكًا حُرَمَ الرِّجَالِ وقَاطِعًا سُبُلَ المَوَدَّةِ عِشْتَ غَيْر مُكَرَّمِ
لَوْ كُنْتَ حُرًّا مِنْ سُلالةِ مَاجِدٍ مَا كُنْتَ هَتَّاكًا لِحُرمَةِ مُسلِمِ
مَنْ يَزْنِ يُزْنَ بِهِ وَلَو بِجدارِهِ إِنْ كُنْتَ يَا هَذا لَبِيبًا فَافْهَمِ

ومن نقلت إليه النميمة عليه ستة أمور :[٥٨]

١ – أن لا يصدق النمّام لأن النمام فاسق قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبأٍ فَتَبَيَّنُواْ أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجهَالَةٍ ﴾[٥٩] .

٢ – يبغضه فى الله فإنه بغيض عند الله .

---

(٥٥) متفق عليه .
(٥٦) رواه مسلم .
(٥٧) رواه البخارى ٢١/٨ وأبو داود رقم (٤٨٥٠) ٢١٩/١٣ ، الترمذى رقم (٢٠٩٠) ١٧٢/٦ وأحمد ٥/ ٣٩١ ، ٣٩٩ ، ٤٠٦ .
(٥٨) البحر الرائق : ص ٦٢ .
(٥٩) البحر الرائق ص ٦٢ .

٣ – لا تظن بأخيك الغائب سوءًا لقوله تعالى : ﴿ **اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** ﴾[٦٠] .

٤ – ينهاه عن ذلك وينصح له ويقبح عليه فعله .

٥ – لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتتحقق منه لقوله تعالى ﴿ **وَلَا تَجَسَّسُواْ** ﴾[٦١] .

٦ – لا ترضَ لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكى نميمته فتكون نمامًا ومغتابا .

فليتق الله ذوو الألسنة الحداد ولا ينطقوا إلا بما فيه الخير لخلق الله ويكفيهم فى هذا قول النبى ﷺ « **مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ** »[٦٢] .

---

(٦٠) سورة الحجرات الآية : ١٢ .

(٦١) سورة الحجرات الآية : ١٢ .

(٦٢) متفق عليه .

فعلى المؤمن أن ينزه لسانه عن هذه الآفات

- ٦ -

إفشاء السر[٦٣]

المؤمنُ الصادقُ يَتَهَيَّبُ الكلام بغير ذِكْرِ الله تعالى وَيْجَعلُ لسانه من وراء قلبه فإن كانت الكلمةُ فيها إرضاءُ الله أمضاها على لسانه وإن كانت غَيْرَ ذلك استغفر الله وتاب إليه لعلمه أنها تَهْوِى به فى نار جهنم .

وليس أَدل على حِفْظِ السِّرِّ وكتمانه فى الحياة العامة والخاصة من قوله ﷺ فى كيفية وثواب إخفاء الصدقة وأن يُعطى الإنسان بيمينه ما لا تَعْلَمُ شماله ففى حديث أبى هريرة فى السبعةِ الذين يُظِلُّهم اللهُ فى ظِلّه يومَ لا ظِلَّ إلّا ظله منهم « **وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ** »[٦٤] .

ومن أَدَبِ النُّبُوَّة فى البيوتِ « **إِنَّ مِن شَرِّ النَّاسِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامةِ الرَّجُلَ يُفْضِى إِلَى امْرَأَتِهِ وتُفْضى إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ أَحدُهُمَا سِرَّ صَاحِبِهِ** »[٦٥] .

وحتى فى الحروب فكان ﷺ لا يَقْصِدُ مكانًا إلا ورَّى بغيره لكى لا تُكْشَف الخطة .

وقد ورد عن عمر بن عبد العزيز قوله : القلوب أوعية الأسرار والشفاهُ

---

(٦٣) قد تعرضت بحمد الله فى رسالة « أدب الكتمان وحفظ السر » لهذا الموضوع بشىء من التفصيل .

(٦٤) متفق عليه .

(٦٥) رواه مسلم ١٥٧/٤ – وأبو داود فى رواية (إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة ...) .

أقْفَالُها والألسن مَفَاتيحُها فليحفظ كُلّ امرئ مِفتَاحَ سره .[٦٦]

ومما قيل عن حفظ السر رجلٌ يوصى زوجته :

لكلّ امرئ يا أمَّ عَمْرُ طَبيعَـةٌ ... وتَفْضيلُ ما بَيْنَ الرِّجال الطَّبائعُ

فلا يسْمَعنّ سِرِّى وسِرَّكِ ثالثٌ ... ألا كُلُّ سِرٍّ جاوزَ اثنين ضَائِعُ

وكَيفَ يُشيعُ اَلقَلْبُ سرًّا وفَوقَه ... حِجَابٌ وما فوق الحجاب إلَّا ضَالِعُ

وأفضل ما قيل عن حفظ السر :

ومُسْتَودِعِى سِرًّا تبـوأتُ كَتْمَـه ... فَأَوْدَعْتهُ صَدْرِى فَصَار لَهُ قبرًا

وأفضل منه :

وما السرُّ فى صَدْرِى كثاوٍ بقبره ... لأنَّى أرى المَقْبُورَ ينتظر النَّشْرَا

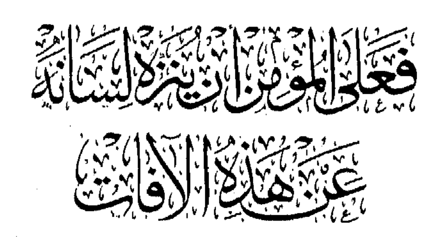
ولكننـى أنساهُ حتـى كأنَّنـى ... بما كان مِنْهُ لم أُحِطْ ساعةً خبرا

ولو جَاَز كَتْمُ السرِّ بَيْنِى وبَيْنَهُ ... فى السرِّ والأحشاءِ لم تَعْلَمِ السِّرَّا

---

(٦٥) رواه مسلم ١٥٧/٤ – وأبو داود فى رواية (إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة .

(٦٦) أدب الدنيا والدين ص ٢٨٠ .



- ٧ -

ذو اللسانين وذو الوجهين

قال تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ ﴾(٦٧) .

وقال ﷺ محذرًا « إنَّ مِن شَرِّ النَّاسِ ذَا الوَجْهَيْنِ الَّذِى يَأْتِى هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ »(٦٨) .

والمعنى أنَّ المُدَاهِنَ المُتَملق باعث على الفتن وناشر الدسائس بين المتصافين أو المتخاصمين وهو أكثر عداوة لله تعالى ويحسب من شرار الناس ، وأنه وضيع ماكر مهين لئيم خبيث طباعه وانحطت أخلاقه ولا وازع يردعه ولا ضمير يَزْجُرهُ ولا خوف من الله تعالى يؤنبه .

وقال ﷺ « شَرُّ عِبَادِ اللهِ المشَّاؤون بالنَّميمَةِ المُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ »(٦٩) ولكن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ولذلك قيل :

جِراحَاتُ السِّنَانِ لها الْتِئَامُ ... ولا يلتَـأمُ ما جَـرَحَ اللِّـسَانُ

وعن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ .

« مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فى الدُّنيا كَانَ لَهُ لِسَانَانِ مِنْ نارٍ يَوْمَ

---

(٦٧) سورة البقرة الآية : ٢٠٤ .

(٦٨) البخارى ٢١/٨ ، ومسلم ٢٧/٨ .

(٦٩) جزء من حديث أخرجه أحمد ٢٢٧/٤ ، ٤٥٩/٧

القيامَةِ »[٧٠] .

وعن عريب الهمدانى ، قال : قلت لابن عمر رضى الله عنه :

« إنَّا إذَا دَخلْنَا عَلَى الأُمَرَاءِ زَكَّيْنَاهُمْ بِمَا لَيْسَ فِيهِمْ فَإِذَا خَرَجْنَا دَعَوْنَا عَلَيهِمْ ؟ قال كُنَّا نَعُدُّ ذَلِكَ النّفاق »[٧١] .

وفى رواية « كنا نعدُ ذلك على عهد رسول الله ﷺ النفاق » .

(٧٠) رواه البخارى فى الأدب المفرد (١٣١٠) ٦٨٨/٢ وفيه زيادة نصها : فمر رجل كان ضخمًا قال هذا منهم » رواه أبو داود [٤٨٥٢] ٢٢٠/١٣ ، والدرامى ٣١٤/٢ .

(٧١) رواه البخارى ٨٩/٩ ، وابن ماجه (٣٩٧٢) ، ١٣١٥ ، والطيالسى [٢٦٢١] ١٦٧/٢ وأحمد ١٠٦٦٩/٢ .

فعلى المؤمن أن ينزه لسانه عن هذه الآفات

- ٨ -

المراء والجدال والمخاصمة

قال تعالى ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ويُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ** ﴾[٧٢] .

وقال ﷺ « **أبْغَضُ الرِّجَالِ إلى اللهِ الأَلَدُّ الخَصِمِ** »[٧٣] أى كَثِيرُ الخُصُومَةِ واللَّددُ هو شِدَّةُ الخُصُومَةِ وهو الاعوجَاجُ والانْحِرافُ عَنِ الحَقِّ .

والمِراءُ : هُو الطَّعنُ فِى كَلامِ الغَيْرِ لإظْهَارِ خَلَلٍ فِيه لِغَير غَرَضٍ سِوى تَحقِير قَائِلِهِ وإِظْهَارِ مَرتَبَتِهِ عليه .

ولذلك قال ﷺ « **لا يَسْتَكْمِلُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الإيمَانِ حَتَّى يَدَعَ المِراءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا** » .

والجدال : وهو عبارة عن قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح فى كلامه ونسبته إلى التَّهور والجهل فيه .

والتحريش (المخاصمة) : قال ﷺ « **ثَلاثَةٌ لَا تُرفَعُ صَلاتُهُم فَوْقَ رُؤُوسِهِم شِبْرًا رَجُلٌ أَمَّ قَوْمًا وهُمْ لَهُ كَارِهُونَ ، وامرَأَةٌ بَائِتٌ وَزَوجُهَا عَلَيْها سَاخِطٌ ، وأَخَوَانِ مُتَصَارِمَانِ** »[٧٤] .

---

(٧٢) سورة البقرة الآية : ٢٠٤ .

(٧٣) مسلم ٥٧/٨ ، البخارى ٩١/٩ .

(٧٤) ابن ماجه ٣١١/١ .

ومن وصايا أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه « لا تَتعلَّمِ العِلْمَ لثلاثٍ ولا تَتْركْهُ لثلاث : لا تتعلمه لتمارى ، ولا لتباهى ، ولا لترائى ، ولا تتركه حياء من طلبه ، ولا زهادة فيه ، ولا رضًا بالجهل منه »[٧٥] .

وقال ﷺ : « **أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفاقِ حَتَّى يَدَعَهَا : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا خاصَمَ فَجَرَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ** »[٧٦] .

قال ﷺ « **لا تُمَارِ أَخاكَ وَلاَ تُمَازِحْهُ ولَا تَعِدْه مَوْعِدًا فَتُخْلِفَهُ** »[٧٧] .

وقال بلال بن سعد (إذا رأيت الرجل لحوحًا مماريًا معجبًا برأيه فقد تمت خسارته) .

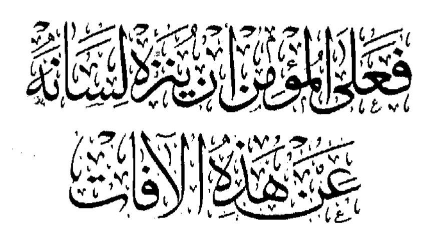
وقال « ابن أبى ليلى » لا أمارى صاحبى فإمّا أن أكذبه وإما أن أغضبه .

---

(٧٥) إحياء علوم الدين ١١٧/٣ .

(٧٦) البخارى ٣٠/٨ ، ومسلم ٥٦/١ .

(٧٧) رواه الترمذى رقم [٢٠٦٣] ١٣٠/٦ ، ١٣١ .



– ٩ –

الحسد

كل العدوات قد ترجى إماتتها   إلا عداوة من عاداك من حسد

اعلم أن الحسد من نتائج الحقد الذميم وللحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى وقد ورد فى أخبار كثيرة منها قوله ﷺ « **الحَسَدُ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ** »(٧٨) .

وقوله : « **لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُم بَعْضًا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا** »(٧٩) .

ومن الآثار قول بعض السَّلف « إن أول خطيئة كانت هى الحسد ، حسد إبليس آدم عليه السلام على رتبته فأبى أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية » .

والحسد نوعان : أحدهما : كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه ، وثانيهما : عدم محبة زوالها وتمنى مثلها وهذا يسمى غبطة .

فالأول حرام بكل حال إلا نعمة أصابها فاجر وهو يستعين بها على محرَّم كإفساد وإيذاء فلا يضرّ محبة زوالها عنه من حيث هى آلة الفساد .

---

(٧٨) جزء من حديث أخرجه أبو داود من حديث أبى هريرة وابن ماجه من حديث أنس .

(٧٩) رواه البخارى مطولا ٢٣/٨ ، ٢٥ ، ٢٦ ومسلم ٩/٨ وأبو داود [٤٨٨٩] ٢٥٥/١٣ والترمذى [٢٠٠٠] ٦٤/٦ ، ٦٥ .

ويدل على تحريم الحسد الأخبار السابقة وإن كراهة زوال النعمة إنما هى تَسَخُّطٌ لقضاء الله فى تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة وأى معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة ؟

وإلى هذا أشار القرآن بقوله : ﴿ **إن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرحُوا بِهَا** ﴾ .(٨٠) .

وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان .

ومن أسباب الحسد : العداوة والبغضاء وهذا أشد أسباب الحسد ومنها التعزز وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره . ومنها حب الرياسة وطلب الجاه . ومنها خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله .

والحسد من أمراض القلوب العظيمة ولا دواء لها إلّا بالعلم والعمل .

والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيقا أن الحسد ضرر عليك فى الدنيا والدين وأنه لا ضرر فيه على المحسود فى الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما لأنك سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التى قسَّمها بين عباده وعدله الذى أقامه فى مُلْكه بخفىّ حكمته فاستنكرت ذلك واستبشعته وشاركت إبليس والكفّار فى محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النّعم .

---

(٨٠) آل عمران آية ١٢٠ .

فعلى المؤمن أن ينزه لسانه عن هذه الآفات

- ١٠ -
الكلام فيما لا يعنى وكذلك فضول الكلام

اعلم أن رأس مال العبد أوقاته ، فإن صرفها فيما لا يعنيه ولم يدخر به ثوابًا فى الآخرة فقد ضيع رأسَ ماله ، ولهذا قال النبى ﷺ « **مِن حُسْنِ إسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ** »[٨١] وسببه الباعث عليه هو الحرص عليه هو الحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه أو تمضية الأوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها . وعلاج ذلك كله أن يعلم أن أنفاسه رأس ماله وأن لسانه شبكة يقدر أن يقتنص بها الخيرات الحسان ، فإهماله ذلك وتضييعه خسران مبين وكذلك الخوض فيما لا يعنى ، والزيادة فيما يعنى على قدر الحاجة قال تعالى ﴿ **لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ** ﴾[٨٢] .

وقال ﷺ « **طُوبَى لِمَنْ أَمْسَكَ الْفَضْلَ مِن لِسَانِهِ وَأَنْفَقَ الفَضْلَ مِن مَالِهِ** » .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : أُنْذِرُكُم فضُول الكلام .

وعن عطاء[٨٣] . فضول الكلام ما عدا تلاوة القرآن ، والقول بالسنة عند الحاجة ، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن تنطق فى أمر لابدَّ لك منه

---

(٨١) رواه الترمذى رقم (٢٤٢) ٦٠٩/٦ وقال غريب ، وأحمد ٢٠١/١ .

(٨٢)سورة النساء آية ١١٤ .

(٨٣) بهجة المجالس [٧٨/١] .

فى معيشتك ، أما يستحى أحدكم أن لو نُشِرَتْ عليه صحيفته التى أملاها صدر نهاره أن يرى أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه ثم تلا ﴿ **وإنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ، كِرَامًا كَاتِبِينَ** ﴾[٨٤] ، ﴿ **عَنِ الْيَمِينِ وعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَّا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾[٨٥] .

وقال أبو هريرة : لا خير فى فضول الكلام .

وقالوا : أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، وما ظهر معناه فى لفظه .

وكان يقال : أفضل الكلام ما قلت ألفاظه وكثرت معانيه أخذ هذا المعنى أحمد ابن إسماعيل الكاتب فقال :

خيرُ الكَلَامِ قَلِيلٌ عَلَى كَثِيرٍ دَلِيلُ
والعِيُّ مَعْنًى قَصِيرُ يَحْوِيهِ لَفْظٌ طَوِيلُ

---

(٨٤) سورة الانفطار الآيتان : ١٠ ، ١١ .

(٨٥) سورة (ق) الآيتان : ١٧ ، ١٨ .

فعلى المؤمن أن ينزه لسانه عن هذه الآفات

- ١١ -
الخوض فى الباطل

وهو الكلام فى المعاصى كحكاية أحوال النساء ومجالس الخمر والألعاب الرياضية ككرة القدم وما شابهها ومقامات الفساق وتكبر الجبابرة وأحوالهم المكروهة فإن ذلك مما لا يحل الخوض فيه .

وأكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكّه بأعراض الناس أو الخوض فى الباطل ، وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفننها فلذلك لا مخلص منها إلا بالاقتصار على ما يعنى من مهمات الدين والدنيا وفى الحديث « **أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضًا فى الباطل** » وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ **وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الخَائِضِينَ** ﴾ وبقوله تعالى ﴿ **فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ** ﴾ .

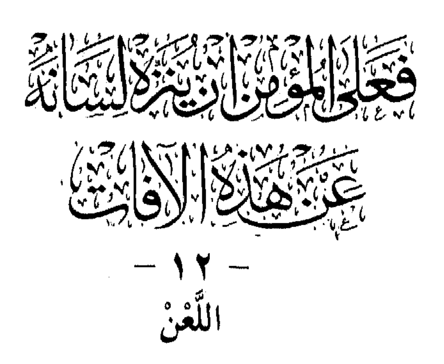
عن بلال بن حارث المزنى رضى الله عنه عن النبى ﷺ « **إنَّ الرجُلَ لَيَتكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوانِ اللهِ ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغتْ يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوانَهُ إلى يَوْمِ يَلقاهُ ، وَإنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمةِ مِن سَخطِ اللهِ ، مَا يَظُنُّ أَن تَبْلُغ مَا بَلَغتْ ، يَكْتُبُ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخطهُ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ** »[٨٦] .

---

(٨٦) رواه مالك : ٦٠٩ ، ٦١٠ ، والبخارى [٨/١٢٥] والترمذى [٢٤٢١] ٦/٢٦٠٩ ، وابن ماجه [٣٦٦] : ٢/١٣١٢ ، ١٣١٣ .

وكان الربيع بن خثيم يقول لا خير فى الكلام إلا فى تسع : « تهليل ، وتسبيح ، وسؤالك من الخير ، وتعوذك من الشر ، وأمرك بالمعروف ، ونهيك عن المنكر ، وقراءتك للقرآن »[٨٧] .

(٨٧) أبو نعيم فى الحلية ٢/١٢٩ وابن أبى الدنيا الصمت ص ٦٥ .



- ١٢ -

اللَّعْنْ

اللعن إما لحيوان أو جماد أو إنسان وكل ذلك مذموم ، قال رسول الله ﷺ : « **لا يكون المؤمن لعانًا** »(٨٨) واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد عن الله تعالى وذلك غير جائز إلَّا على مَنْ اتَّصف بصفة تبعده عن الله عز وجل وهو الكفر والظلم ، وفى لعن فاسق معين حظر فليتجنب ولو بعد موته ، بل قد يكون أشد إن كان فيه أذى للحيِّ وفى الحديث « **لاَ تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ فَتُؤْذُوا بِهِ الأَحْيَاءَ** » ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر ، حتى الدعاء على الظالم مذموم ، وفى الخبر « **إن المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه** » وأيضا لعدم تعود اللسان على اللعن فقد نهى عنه الشرع .

عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ ، على ناقة فى بعض أسفاره ، وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت ، فلعنتها ، فسمع النبى ﷺ ذلك ، فقال « **خُذُوا مَاعَلَيْهَا وَدَعُوهَا فَإِنَّهَا مَلْعُونَة** » قال عمران فكأنى أراها الآن تمشى فى الناس ، ما يعرض لها أحد(٨٩) .

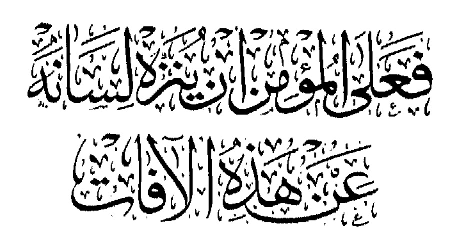
وعن أبى الدرداء رضى الله عنه : أن النبى ﷺ قال : **إنّ اللعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ يَوْمَ القِيامَةِ شُهَدَاء ولَا شُفَعَاءَ** »(٩٠) .

---

(٨٨) رواه الترمذى . حديث [٢٠٨٨] : ١٦٢/٦ ، ١٦٣ .

(٨٩) رواه مسلم ٢٣/٨ ، وأحمد ٤٢٩/٤ ، ٤٣١ ، وأبو داود (٢٥٤٤) ٢٣٠/٧ والدارمى ٢٨٨/٢ .

(٩٠) رواه مسلم ٢٤/٨ ، وأبو داود حديث (٤٨٨٦) ٢٥١/١٣ ، وقال الدكتور محمد أحمد عاشور فى تعليقه على كتاب الصمت لابن أبى الدنيا ص ٢٠٢ وشهداء : أى شهداء على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم الرسالات ، وشفعاء : أى لا يشفعون يوم القيامة حين يشفع المؤمنون فى إخوانهم الذين استوجبوا النار .



- ١٣ -
المدح

وهو منهى عنه فى بعض المواضع ، أما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها ، والمدح يدخله ست آفات : أربع فى المادح ، واثنتان فى الممدوح .

فأما المادح :

... **الأولى** : أنه قد يُفْرطُ فيه فينتهى به إلى الكذب .

... **الثانية** : أنه قد يدخله الرياء فإنه بالمدح مُظهر للحب وقد يكون مُضمرًا له ولا معتقدًا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيًا منافقًا .

... **الثالثة** : أنه قد يقول ما لا يتحقّقه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه .

... **الرابعة** : أنه قد يُفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز ، قال الحسن « من دعا لظالمٍ بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله فى الأرض » .

وأما الممدوح فيضره من وجهين :

الأولى : يحدث فيه كبرًا وإعجابًا وهما مهلكان .

الثانية : هو أنه إذا أثنى عليه فرح وفتر ورضى عن نفسه وقلّ تشميره للعمل فإن سلم المدح من هذه الآفات فى حق المادح والممدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبًا إليه .

وعلى الممدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعُجْب وآفة الفتور ويتذكر أنه يعلم من نفسه ما لا يعلمه المادح ، وأنه لو انكشف له جميع أسراره

ما يجرى على خواطره لكفّ المادح عن مدحه ، وكان (علىّ) رضى الله عنه إذا أثنى عليه يقول « **اللّهُمَّ اغْفِر لِى مَا لا يَعْلَمُونَ ، وَلَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا يَقُولُونَ ، واجْعَلْنِى خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ** »وعلى المادح أن لا يجزم القول إلا بعد خبره باطنه سمع (عمر) رضى الله عنه رجلًا يثنى على رجل فقال : « **أسافرت معه ، ؟ قال : لا ، قال : أخالطته فى المبايعة والمعاملة ، ؟ قال : لا ، قال : فأنت جاره صباحَهُ ومساءه ؟ قال : لا : فقال : والله الذى لا إله إلّا هو لا أراك تعرفه** » .

وفى الحديث : « **إِنْ كَانَ أَحدُكُمْ لَا بُدَّ مَادِحًا أَخاهُ فَليَقُلْ : أَحْسَبُ فُلَانًا وَلَا أُزَكِّى عَلَى اللهِ أَحَدًا** »[٩١] .

وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، رجلًا يثنى على رجل ، فقال : أسافرت معه ؟ فقال : لا ، قال : أخالطته ؟ قال : لا ، قال : والله الذى لا إله إلا هو ما تعرفه[٩٢] .

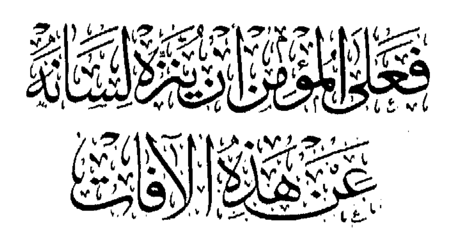
وقالت عائشة رضى الله عنها : **يَتَوضَّأُ أَحَدُكُم مِنَ الطَّعَامِ الطَّيِّبِ ، وَلَا يَتَوَضَّأُ مِنَ الكَلِمَةِ الخَبِيثَةِ يَقُولهَا !!** [٩٣] .

---

(٩١) رواه البخارى ١٢٩٣ ، مسلم ٣٠٠٠ ، وأحمد فى مسنده ٤٦/٥ ، ٤٧ ، من حديث أبى بكرة الثقفى وفيه أن رجلًا مدح آخر عند النبى ﷺ فقال له « ويحك قطعت عنق صاحبك » .

(٩٢) « الصمت » لابن أبى الدنيا ص ٢٧٩ .

(٩٣) ابن أبى الدنيا« الصمت » ص ٢٨٣ .



فعلى المؤمن أن ينزه لسانه عن هذه الآفات

- ١٤ -

التقعّر

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « **ألا هَلَكَ المُتَنطِّعُون** » **ثَلَاثَ مَراتٍ**[٩٤] والمتنَطِّعون : الضالون المجاوزون الحدود فى أقوالهم وأفعالهم الداخلون فيما لا يعنيهم الخائضون فيما لا تبلغه عقولهم[٩٥] .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِى كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمَ اللِّسَانِ** »[٩٦] .

وعن مصعب بن سعد قال : جاء عمر بن سعد إلى أبيه يسأله حاجة ، فتكلم بين حاجته بكلام فقال له سعد رضى الله عنه : ما كنت من حاجتك أبعد منك اليوم ، إنى سمعت رسول الله ﷺ ، يقول « **يَأْتِى النَّاسَ زَمَانٌ يَتَخَلَّلُون فِيهِ الكَلَامَ بِأَلْسِنَتِهِم كما تَتَخلَّلُ البَقَرُ الكَلأَ بِأَلْسِنَتِهَا** »[٩٧] أى يدير لسانه حول أسنانه مبالغة فى إظهار بلاغته ، والكلأ : المرعى وخص البقر

---

(٩٤) أخرجه أحمد ٣٨٦/١ ، ومسلم ٥٨/٢ ، وأبو داود حديث رقم (٤٥٨٤) : ٣٦١/١٢ .
(٩٥) د . محمد أحمد عاشور فى تعليقه على كتاب « الصمت » لابن أبى الدنيا ص ٩١ .
(٩٦) رواه أحمد فى مسنده ٢٢/١ ، ٤٤ .
(٩٧) أحمد [١٦٥/٢ ، ١٨٧] ، وأبو داود حديث [٤٩٨٤] ٣١٧/١٣ ، ٣٤٨ « عون المعبود » ، والترمذى حديث [٣٠١١] ١٤٥/٨ ، ١٤٦ « تحفة الأحوذى » .

لأنها تجمع النبات بلسانها وليس بأسنانها[٩٨] ، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : **إنَّ شَقَاشِقَ الكَلام ، مِنْ شَقَاشِقِ الشَّيْطانِ** »[٩٩] والشقاشق : جمع شقشقة وهى الجلدة الحمراء التى يخرجها الجمل من جوفه .

(٩٨) د . محمد أحمد عاشور فى تعليقه على كتاب « الصمت » لابن أبى الدنيا ص ٩٢ .

(٩٩) البخارى فى شرح الأدب المفرد ، ٣٢٥/٢ ، ٣٢٦ بلفظ « إن كثرة الكلام فى الخطب من شقاشق الشيطان » وابن أبى الدنيا ص ٩٣ .

فعلى المؤمن أن ينزه لسانه عن هذه الآفات

- ١٥ -

الدقائق اللفظية

ينبغى التنبه لدقائق الخطأ فى فحوى الكلام والحذر من الغفلة منها سيما فيما يتعلق بالله سبحانه وتعالى فى أسمائه وصفاته .

فعن حذيفة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : « **لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُم : مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ ، ولَكِنْ لِيَقُلْ مَاشَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ** »[١٠٠] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فكلمه فى بعض الأمر ، فقال : ما شاء الله وشئت فقال النبى ﷺ « **أَجَعَلْتَنى لِلَّهِ نِدًّا قُل : مَاشَاءَ اللهُ وَحْدَهُ** »[١٠١] وخطب رجل عند النبى ﷺ فقال : مَنْ يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى فقال : « **بِئْسَ الخَطِيب أَنْتَ ، لا تَقُلْ هَكَذا قُلْ : مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَد ومن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَد غَوَى** »[١٠٢] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « **إنَّ أَحَدَكُمْ لَيُشْرِكُ حَتَّى يُشرِكَ بِكَلْبِهِ ، يقول لَوْلَاهُ لسُرِقْنَا اللَّيْلَةَ** »[١٠٣] .

---

(١٠٠) رواه أبو داود رقم (٤٩٥٩) ٣٢٦/١٢ ، البيهقى ٢١٦/٣ ، وابن ماجه (٢١١٧) ٦٨٤/١ ، وقد رواه البخارى ٢٣٩٧ ، ومسلم ٢٦٧٨ .

(١٠١) البخارى فى الأدب المفرد حديث (٣٣٩) : ٢٥٣/٢ ، ورواه أحمد والبيهقى بلفظ « أجعلتنى لله عدلًا » بمعنى مثلًا وشبيهًا .

(١٠٢) أخرجه أحمد (٢٥٦/٤ ، ٣٧٩) ومسلم ١٢/٣ ، ١٣ ، وأبو داود [(١٠٨٦) ٤٩/٣] .

(١٠٣) « الصمت » لابن أبى الدنيا ص ١٩١ .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **مَن حَلَفَ مِنكُم باللَّاتِ فَلْيَقُل : لَا إله إِلَّا الله .. وَمَن قَالَ لِصَاحِبه : تَعَالَ أُقَامِرُكَ فَلْيَتَصَدقْ** »[١٠٤] .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ « **إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُم أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُم** » قال عمر والله ما حلفت بها مذ سمعت رسول الله ﷺ ينهى عنها[١٠٥] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « **لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفسِى ، ولَكِنْ لِيَقُل : لَقِسَتْ** »[١٠٦] .

وعن أبى هريرة رضى عنه : قال : قال رسول الله ﷺ : « **لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُم عَبْدِى وَلا أَمَتِى كُلُّكُم عَبِيدُ اللهِ وَكُلُّ نِسَائِكُم إِمَاءُ اللهِ وَلْيَقُل غُلامِى وَجَارِيَتِى ، وَلا يَقُل المَمْلُوكُ : رَبِّى ، ولَا رَبَّتِى ، وَلْيَقُل : سَيِّدِى ، وسَيِّدَتِى ، فَكُلُّكُم عَبِيدُ اللهِ والرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** »[١٠٧] .

وله روايات مختلفة منها قوله عليه السلام « لا يقل أحدكم اسق ربك أطعم ربك دفء ربك ، ولا يقل أحدكم ربى وليقل سيدى ، ولا يقل أحدكم عبدى ، أمتى وليقل فتاى ، فتاتى ، غلامى » وفى رواية « **فَإِنَّ مَولَاكُم اللهُ عَزَّ وَجَلَّ** » وفى أخرى « **كُلُّكُم عَبِيدُ اللهِ ، وَكُلَّ نِسَائكُم إِمَاءُ اللهِ** » .

---

(١٠٤) رواه البخارى ٣٣/٨ ، ١٦٥ ، ومسلم ٨١/٥ ، وأبو داود (٣٢٣١) : ٧٤/٩ ، ٧٥ .

(١٠٥) أخرجه أحمد ، والبخارى ٣٣/٨ ، ١٦٤ ، ومسلم ٨٠/٥ ، ٨١ ومالك وأبو داود وابن ماجه والترمذى .

(١٠٦) البخارى ٥١/٨ ومسلم ٤٧/٧ ، وأحمد وأبو داود [٤٩٥٨] ٣٢٥/١٣ ، وعبد الرزاق وقال د . محمد أحمد عاشور فى تعليقه عليه فى كتاب « الصمت » ص ١٩٣ ولقست وخبثت بمعنى واحد وإنما كره لفظ الخبث لبشاعة الاسم وعلمهم الأدب فى الألفاظ واستعمال حسنها وهجران خبثها ، وقال الراغب : الخبيث يطلق على الباطل فى الاعتقاد والكذب والقبح فى الفعال ا . هـ .

(١٠٧) انظر الأدب المفرد للبخارى [٢١٠] ٢٢٩/١ ، ٣٠٠ ، ومسلم ٤٦/٧ ، ٤٧ ، وأحمد ٣١٦/٢ ، ٤٢٣ ، ٤٦٢ ، ٤٨٤] .

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه ، رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « **لَا تَقُولُوا لِلمُنَافِقِ : سَيِّدُنَا فَإِنَّهُ إِنْ يَكُن سَيِّدَكُمْ فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ** »(١٠٨) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **إِذَا دَعَا أَحَدُكُم فَلا يَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمْ وَلْيُعظِمَ الرَّغْبَةَ ، فَإِنَّ الله لا يَتَعَاظَمهُ شَىءٌ أعطاه** »(١٠٩) .

كذلك **لا يقول** « أعوذ بالله وبك » **ولا يقول** « لولا الله وفلان » **ولا يقول** « نعتمد على الله وعليك » ولكن يجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بك ، ولولا الله ثم فلان ، ونعتمد على الله ثم عليك وهكذا .

---

(١٠٨) أخرجه أحمد [٣٤٦/٥ ، ٣٤٧] والبخارى فى الأدب المفرد [٧٦٠] ٢٣٠/٢ ، وأبو داود [٤٩٥٦] ٣٢٣/١٣ ، ٣٢٤ ولما كان المنافق غير مستحق للسؤدد وموصوفًا بالنقائص فإنه لا يستحق هذا الاسم ، وإن يكن سيدًا فقد وجبت طاعته فإذا أطعتموه فقد أسخطتم الله عز وجل . ا . هـ . د . محمد أحمد عاشور « الصمت » ص ١٩٤ .

(١٠٩) رواه مسلم ٦٤/٨ ، وأبو داود [١٤٧٠] ٣٥٦/٤٠ [عون المعبود] والترمذى [٣٥٦٤] ٤٧٠/٩ (تحفة الأحوذى) .

من آداب اللسان فى حق الأخوة[110]

اعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة سوء الخلق ، فحسن الخلق يوجب التحابّ والتآلف ، وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر .
ولا يتأتى ذلك إلّا بحفظ اللسان ، وذلك بالسكوت مرة وبالنطق أخرى ، أما السكوت فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه فى غيبته وحضرته بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به ولا يماريه ولا يناقشه ، وأن يسكت عن التجسس والسؤال عن أحواله ، وإذا رآه فى طريق أو حاجةٍ لم يفاتحه بذكر غرضه من مصدره ومورده ولا يسأل فربما يثقل عليه ذكره أو يحتاج إلى أن يكذب فيه ، وليسكت عن أسراره التى بثها إليه ولا يبثها إلى غيره البتّة ولا إلى أخصّ أصدقائه ولا يكشف شيئًا منها ولو بعد القطيعةِ والوحشةِ فإن ذلك من لؤم الطّبع وخبث الباطن ، وأن يسكت عن القدْح فى أحبابه وأهله وولده وأن يسكت عن حكاية قدح غيره فيه ، فإن الذى سبّك مَنْ بَلَّغك ، ولا ينبغى أن يخفى ما يسمع من الثّناء عليه فإن السرور أولًا به يحصل من المبلغ للمدح ثم من القائل ، وإخفاء ذلك من الحسد ، وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملةً وتفصيلًا إلّا إذا أوجب عليه النطق فى أمرٍ بالمعروف أو نهى عن منكر ولم يجد رخصة فى السكوت فإن ذاك لا يبالى بكراهته فإن ذلك إحسان إليه فى التحقيق وإن كان يظن أنها إساءة فى الظاهر أما ذكر مساوئه وعيوبه ومساوىء أهله فهو من الغيبة وذلك حرام فى حق كل مسلم ويزجرك عنه أمران :

---

(١١٠) (كتاب تهذيب موعظة المؤمنين) الشيخ محمد جمال الدين القاسمى ص ١٧٥ .

١ – أن تطالع أحوال نفسك فإن وجدت فيها شيئًا واحدًا مذمومًا فهوّن على نفسك ما تراه من أخيك وقدّر أنه عاجز عن قهر نفسه فى تلك الخصلة الواحدة كما أنك عاجز عما أنت مبتلى به ولا تستثقله بخصلة واحدة مذمومة فأى الرجال المهذب .

٢ – أن تعلم أنك لو طلبت منزهًا عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولن تجد من تصاحبه أصلًا ، فما من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساوىء فإذا غلبت المحاسن المساوىء فهو الغاية والمنتهى ، فالمؤمن الكريم أبدًا يحضر فى نفسه محاسن أخيه ، لينبعث من قلبه التوقيرَ والود والاحترام ، وأما المنافق اللئيم فإنه أبدًا يلاحظ المساوىء والعيوب ، قال « ابن المبارك » « **المؤمن يطلب المعاذير ، والمنافق يطلب العثرات** » وقال الفضيل « **الفتوة العفو عن زلات الإخوان** » وذلك قال عليه السلام « **اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ جَارِ السَّوْءِ الَّذِى إِنْ رَأَى خَيرًا سَتَرَهُ وَإِنْ رَأَى شَرًّا أَظْهَرَهُ** » والأخوة كما تقتضى السكوت عن المكاره تقتضى أيضًا النطق بالمحاب ، بل هو أخصّ بالأخوة لأن من قنع بالسكوت صحب أهل القبور ، وإنما يراد الإخوة ليستفاد منهم لا ليتخلص من أذاهم والسكوت معناه كف الأذى ، فعليه أن يتودد إليه بلسانه ويتفقده فى أحواله التى يحب أن يتفقد فيها ، كالسؤال عن عارضٍ ألَمَّ به وإظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه ، وكذا جملة أحواله التى يكرهها ينبغى أن يظهر بلسانه وأفعاله كراهها ، وجملة أحواله التى يسرّ بها ينبغى أن يظهر بلسانه مشاركته له فى السرور بها ، فمعنى الأخوة المساهمة فى السراء والضراء وقد قال عليه السلام « **إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرهُ** »[١١٢] فإن ذلك يورث المحبة ومن ذلك أن

---

(١١١) قال الحافظ العراق : أخرجه البخارى فى التاريخ من حديث أبى هريرة بسند ضعيف ، وللنسائى من حديث أبى هريرة وأبى سعيد بسندٍ صحيح .

(١١٢) رواه الترمذى من حديث المقدام بن معديكرب الكندى (٢٣٩٣) بلفظ (فليعلمه إياه) .

تدعوه بأحب أسمائه قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه « **ثلاث يصن لك ود أخيك ، أن تسلم عليه إذا لقيته أولًا ، وتوسع له فى المجلس ، وتدعوه بأحب أسمائه** » ومن ذلك أن تشكره على صنيعه ، وتثنى عليه بما تعرف من محاسن أحواله عند من يؤثر هو الثناء عنده فإن ذلك من أعظم الأسباب فى جلب المحبة ، وكذلك النُّصْح له فى السرِّ قال ذو النون : « **لا تصحب مع الله إلا الموافقة ولا مع الخلق بالمناصحة ، ولا مع النفس إلا بالمخالفة** »

* قال الشيخ جمال الدين القاسمى رحمه الله :

أدب التكلم

الكلام معيار فضل المرء وأدبه لأن فضله لا يظهر إلّا بمنطقه فينبغى اعتياد المنطق بالحكمة بكثرة سماعها واجتناب التكلف والتعقيد وينبغى التكلم بصوت متوسط وعلى قدر اللزوم فإن من رفع صوته زيادة عن العادة وقدر الحاجة نفر السامع من كلامه وأوجب كراهة الناس له فلا يحبون محادثته ومؤانسته على أن كثرة الصياح والصراخ توجب ضعف أعضاء التنفس ويحصل للإنسان بها بحة الصوت وصداع الرأس وضعف العينين كما أن زيادة خفض الصوت توجب صعوبة سماعه وتكلف المستمع زيادة الإصغاء وربما تخفى بعض ألفاظه فلا تسمع أو تشتبه على السامع بغيرها فيفهم منها خلاف غرض قائله ، فمن تمام الأدب والصحة أن يكون صوت الإنسان فى خطابه متوسطًا معتدلًا بقدر اللزوم لا عاليًا يتعب المتكلم ويزعج السامع ولا منخفضًا جدًّا يضعف عن الوصول إلى السامع . وينبغى أن لا يكون بتأنٍ زائد وبطء يمل السامع ويطول به الوقت بل يكون وسطًا ولا يكون كلامه بشدة وحدة مثل المغتاظ والغضبان ولا برخاوة وتكسر ككلام النسوان ولا بتشدق فينقذف معه لعاب أو بصاق بل يكون كلامه كلام الرجال الشجعان مع بشاشة الوجه وحلاوة اللسان فكم من أمور صعبة متعسِّرة يسهلها عذوبة اللفظ وحسن البيان ولا يهش إلى كافة الناس هشاشة تجسرهم عليه فيضيق بهم ذرعًا ولا يصبر على ما يحبون منه ولا ينقبض عنهم انقباضًا يوحشه منهم ويمنعه من رفدهم ولكن ليلق الأعيان بالترحيب والمفاوضة ومن قصر عنهم بحسن اللقاء والصمت وسفلهم بالرأفة وحسن المعونة وعليه إذا كلمه أحد أن يقبل عليه ويحسن الإصغاء إليه ولايتشاغل عن كلامه ولا يقطع عليه القول حتى إذا خطر بباله شيء يجب أن يذكره – يصبر حتى يفرغ صاحبه ثم يتكلم وعليه أن لا يذكر أحدًا من رفقائه

إلا باسمه مقرونًا بتفخيم أو بلقبه الذى يعجبه ويحبه ولا يسمى أحدًا باسم يكرهه ولا يناديه ولا يخاطبه به وعليه أن يكفّ لسانه عن لفظٍ قبيح معيب كأعضاءِ العورة فيكنى عنها لدى الضرورة وعليه أن يتخذ الصدق فى أقواله عادة لازمة وطبيعة دائمة فإن فيه السلامة والنجاح . والكذاب فاقد الثقة بين أهله ولا صديق له ولا يقبل قوله حتى فى الصدق وضرره يعود على نفسه وغيره وعليه إذا اضطر لمعارضة أحد أن يقول . لعل الشأن كذا . وعليه إذا رغب لأحد فى أمر أن يسأله ما يتحمله طبعه وما تنشرح إليه نفسه ويجب الاحتراز عن الألفاظ الحشوية التى تتخلل كلام بعض اللكن والدعن كما يجب ترك فاحش القول فإنه أقبح داء وأسوأ آفة للوقار والبهاء .

وفيه تجرئة السفلة على الوقاحة وهى من أخلاق الأدنياء ، سرى داؤها إلى غيرهم من الترخيص لهم فى الجلوس معهم والانبساط إليهم ، لإضحاكهم ورضاهم بمعاشرتهم وما تضمينهم القبيح إلا نفاث سموم تسرب فى جسم الحكمة والأدب فتفسده . وعلى المتكلم أن يتجنب الحلف فى كلامه وإن كان صادقًا توقيرًا للفظ الكريم ، وتباعدًا عن إيهام الدخل فى كلامه لترويج مأربه .

وعليه أن لا يباحث فى المسائل المذهبية التى تولد الضغائن والتعصب فإنها من أعظم آفات العمران وأشد عامل على التفرقة والانقسام . وعليه أن لا يكون مكثارًا فى القول مستغرقًا الجلسة فى طول حديثه ملجمًا الغير عن المشاركة فإن ذلك مضجر للجلساء ، ومن دلائل الطيش والخفة ، فمن بسط لسانه قبض إخوانه ، ودواؤه الإعراض لأن حسن الاستماع قوة للمحدث .

تم الكتاب وربنا محمود ... وله المكارم والعلا والجود
وعلى النبى محمد صلواته ... ما ناح قمرى وأورق عود

والحمد لله الذى بنعمته تم الصالحات

الفهرس

رقم الإيداع ٣٢٦٠ / ٨٧

مطابع الوفاء - المنصورة
شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠
تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN







هذا الكتاب

هذا الكتاب الذى بين يديك يتناول موضوعات قلّ أن يتناولها الباحثون . فهو يعرض لفضل الصمت وحفظ اللسان ويتغلغل ببصره وبصيرته فى خفايا آفاته فيحللها بأسلوب سهل مبسط ويفرد لها الفصول الواحدة بعد الأخرى ، حتى تتضح السبل لمن أراد أن يسلك فى الدنيا والآخرة طريق الرشاد .

فاللسان هو المترجم لما حواه القلب ، وهو الناطق بما تعتمل به النفس . فمع صغر حجمه وقلة جرمه تعظم طاعاته وإثمه . ولا يستبين الكفر والإيمان إلّا بشهادته .

وفيه قال ﷺ : « وهل يكبّ الناس على وجوههم فى النار إلا حصائد ألسنتهم » .

فما أحرى بالمسلم أن يصون لسانه عما فيه هلكته ، وينأى بنفسه عن موارد حتفه بحبس لسانه وطول سجنه .

